

## المشهد الثقافي

### تقليد شعبي قديم ينتعش في الموسم الرمضاني خالد النعنع: الحكواتي ينبعث في زمن كورونا

منذ مطلع القرن التاسع عشر، بدأ تقليد الحكواتي يظهر في بلاد الشام، خصوصا لبنان. خلال شهر رمضان على وجه التحديد، ازدهرت مهنة الحكواتي الذي كان يحتشد الناس حوله في المقاهي الشعبية والساحات العامة، التي كانت قرب المساجد، فكانوا ينتهون من صلاة التراويح، ليلتحقوا بالحكواتي الذي كان يسمع ويجسد على ناظرهم حكايا الرجولة والمروءة والبطولات التي كان يستقيها من السير والحكايا الشعبية

الحكواتي الماهر هو الذي يدفع الناس إلى التفاعل معه خلال اداء الحكايات. فالمطلوب منه ليس فقط تلاوة القصة، بل بعث الحياة فيها من خلال حركاته وإيماءاته وتعابير وجهه وإضافاته الخاصة اليها. مع الوقت، اقل نجم الحكواتي الذي تراجع دوره الى الخلف امام التطور التكنولوجي وفورة وسائل التواصل الاجتماعي، حتى كاد ان ينقرض. مع ذلك، ظلت بيروت تحتضن مهرجانا للرواية الشفهية على مدى سنوات هو "مهرجان الرواية والمونودراما" الذي كان يجمع معلمي الحكاية من مختلف العواصم العربية والاجنبية، وقد خرج الكثير من الحكواتيين الشباب في لبنان.

الساحر وراء هذا الحدث هو الحكواتي اللبناني المعروف جهاد درويش الذي يعتبر بأن الحكاية التقليدية تضطلع بدور مهم جدا في تكوين شخصية الانسان. ربما ظل "مهرجان الرواية" حكرا على هواة النوع، وبالتالي محصورا بفئة محددة. الا ان تقليد الحكواتي عاد واحتل الواجهة مع تفشي فيروس كورونا، ورجع الناس والشباب لاكتشاف السحر الذي يكتنفه هذا الفن الشعبي، مع العروض التي صارت تقام على وسائل التواصل الاجتماعي.

الحكواتي خالد النعنع من الحكواتيين الذين يقيمون عروضاً خاصة في شهر رمضان على مواقع التواصل الاجتماعي. منذ حوالي 14 عاما، خاض هذه التجربة الفريدة، لتفتح امامه عوالم هذا التقليد الذي يبدو انه لم يفقد رونقه حتى اليوم. اذ انه اكثر من مجرد حكي لرواية تكتنف حكمة ما؛ هو عصاره ذاكرة جمعية شعبية تعكس حكاياها ملامح حضارة وثقافة محددة بطقوسها ومزاجها وميولها.

"الامن العام" التقت خالد النعنع ليحكي لنا عن هذا التقليد، واصله، ومصدر حكاياته،



الحكواتي خالد النعنع.

ومصيره في مهبط التطور التكنولوجي وازدهار وسائل الترفيه.

هناك حكواتيون  
يفضلون ان تكون قصصهم  
روحانية ودينية

■ اخبرنا عن تقليد الحكواتي واصله؟  
□ الحكواتي وجد منذ تأسيس المجتمعات الانسانية، اي منذ اللحظة التي تعلم فيها الانسان الحكاية منذ آلاف السنوات. في ذلك الوقت، كان دوره وما زال نقل الماضي الى الحاضر والمستقبل، بطريقة مختلفة مشوقة، فيها نوع من الاثارة. وبالتالي كان يجمل هذه المواضيع حتى تكون قابلة للنقل من جيل الى جيل. فالانسان الاول

في الكهوف كان يلتقي بمجمعه وينقل هذه القصص للمجتمعين بطريقة فيها اضافة جمالية كي ترسخ في ذهن المستمعين. وكل الآثار التي عثر عليها علماء الاثروبولوجيا تدل على هذه القصص من رسومات على جدران الكهوف وحكايا موجودة منذ ذلك الزمن.

■ كيف ارتبط تقليد الحكواتي بشهر رمضان؟  
□ طبعاً الحكواتي ليس فقط حكرا على شهر رمضان، بل هو على مدار العام، وهو وسيلة التسلية والمتعة الموجودة منذ زمان طويل جدا. الناس ربطوه برمضان، لأنه بعد الافطار وصلاة التراويح وصلاة العشي، كان الناس يجتمعون في المقاهي او في الساحات العامة حيث كانوا يمضون وقتاً ممتعاً مع الحكواتي. فكان الحكواتي موجوداً بقوة في ليالي رمضان. طبعاً في ذلك الوقت، لم تكن هناك بدائل تسلية كثيرة، والحكواتي هو الوسيلة الاقل كلفة والاكثر اتاحة، فكان الناس، خصوصا الرجال، يقضون سهرات رمضان مع الحكواتي في المقاهي.

■ ما هي القصص التي ينقلها الحكواتي؟ وكيف يستلهمها؟

□ طبعاً، يختلف الامر من حكواتي الى آخر. هناك حكواتيون متخصصون في السيرة، واقتصد هنا السيرة الطويلة، اي سيرة عنتر بن شداد مثلا، او الزبير سالم، او الظاهر ببيرس. وهذه السيرة تمتد الى اعوام، وتتطلب جمهوراً وفيها قادراً على متابعة تسلسل الاحداث. هناك حكواتيون يمتنون القصص التراثية، الكناية عن قصص شعبية موجودة في كل بلد يتولون نقلها. هناك حكواتيون يقومون بتأليف قصصهم الخاصة بناء على تجارب شخصية او قصص خيالية يشتغلون عليها. هناك ايضا حكواتيون يدمجون كل ما سبق بحيث يأخذون القليل من السيرة ومن القصص التراثية والتجارب الشخصية. هناك حكواتيون يقدمون سيرة شخص معين. في اختصار لا قاعدة ثابتة في هذه القضية، وتختلف من شخص الى آخر بحسب ميول المعني.

■ هل هناك قصص معينة خاصة بشهر رمضان يتلوها الحكواتي؟

□ لا شك في ان رمضان رمزية خاصة عند

## نقطة على السطر

### رينه ديك وداعاً

اذا كان التراث الشعبي مهددا في لبنان، بالاندثار والامحاء والاهمال والنسيان، فماذا نقول عن الفن الحديث؟ والفن الحديث هنا يشمل كل تيار الحدائق: ذاك الذي تفتح منذ الخمسينات في الجمهورية الفتية، وعرف انطلاقته في الستينات، وذوته في السبعينات عشية الحرب الاهلية. من الشعر والرواية، الى الرسم والموسيقى، وصولاً الى المسرح. المسرح الحديث في لبنان، وقد احتل موقع الصدارة عربياً، كان الوجه الاكثر اشراقاً للحركة الثقافية الطليعية، وكان عنوان المرحلة في لبنان. ازدهار بيروت، وتحولها الى مختبر فكري وابداعي وسياسي واقتصادي لكل المنطقة العربية.

نعم، هذا كان موقع المسرح في لبنان، وحجمه، ودوره. كان يختصر حدائق بيروت، وانفتاحها، وتعديتها، وديمقراطيتها، وانغماسها في التراث العربي، واتصالها بأخر التجارب الابداعية والمدارس الفنية في العالم. صحيح ان عددا مهما من المبدعين والمنظرين والنقاد انشغلوا في سر اغوار التراث، باحثين عن الخصوصية وتأكيدها الهويات المحلية في مواجهة النموذج الغربي المهيمن. هكذا اعيد الاعتبار الى الفنون الطقوسية والتقاليد الشعبية والمسرح الاحتفالي... وأعيد اكتشاف التراث الشفوي، والقصص الشعبية، وتقاليد الحكواتي التي تنتعش في السهرات الرمضانية رغم منافسة الدراما التلفزيونية. لكن البحث عن الاصل لم يتعارض لحظة مع هاجس المعاصرة، ومواكبة العالم، والتفاعل مع الاتجاهات التجريبية في الفن.

كل ذلك صنع فرادة بيروت، عاصمة الحدائق العربية. كان المسرح في قلب هذه النهضة، وكانت رينه ديك من وجوه هذه النهضة المسرحية. الممثلة اللبنانية الفريدة التي غادرتنا اواسط نيسان الماضي بعد صراع طويل مع المرض، اختارت المسرح عقيدة ونهج حياة. كانت من الشهود على تلك المرحلة الذهبية، اذ انطلقت مع الابدان المؤسسة منير ابودبس، الى جانب اسماء أسطورية اليوم امثال انطوان كيراج ورضي خوري ونبية ابوالحسن ومادونا غازي. تعلمت اصول التمثيل وقواعده في "معهد التمثيل الحديث" الذي التحقت به العام 1960، لتشارك كممثلة في بعض اهم التجارب التأسيسية مع ابودبس... بدءاً من "الملك يموت" ليوجين يونيسكو (ترجمة انسي الحاج - 1965) و"علماء الفيزياء" لفرديريك دورنمات (1966).

ستطول رحلة رينه ديك وتنوع في ادارة مخرجين نذكر منهم شكيب خوري. كان لها دور في تأسيس قسم المسرح في معهد الفنون الجميلة الى جانب انطوان ولطيفة ملتقى وآخرين. في التسعينات، اي بعد انتهاء الحرب التي شاركت خلالها في افلام لبنانية بارزة لمارون بغدادي وبرهان علوية ورندا الشهبان، بدأت حياة جديدة على خشبة بفضل جواد الاسدي. المخرج العراقي المقيم في بيروت آنذاك اعطاها دور "المدام" في مسرحية جان جينيه الشهيرة "الخادمتان".

لكن الممثلة القديرة ازوتو شيئا فشيئا، لتعيش سنواتها الاخيرة غارقة في الفقر والتهمة والمرض. صارت اخبارها المحزنة قوتا لكواسر الصحافة الصفراء. هذه الغصة ستلازمتنا كلما ذكرنا اسم رينه ديك، من اجلها، من اجل عشرات الرجال والنساء الاستثنائيين في ذاكرتنا، يجب ان نطالب الدولة الحديثة التي ستبنى قريبا بمؤسسات وقوانين وصناديق ترعى المبدعين وتحميهم في آخرتهم.

تلك سمة الاوطان العظيمة ومسؤولية المجتمعات الجديرة بالاحترام تجاه صناعات هويتها، من امثال رينه ديك.

يزداد الطلب علينا على التلفزيون وعلى وسائل التواصل الاجتماعي. اي اننا نقيم عروضاً بشكل مباشر على هذه المنصات.

■ هل بات الحكواتي تقليداً في طور الانقراض وسط كثرة وسائل الترفيه والتطور التكنولوجي الحاصل؟

□ كثيرون كانوا يقولون بأن الحكواتي تقليد على وشك الانقراض بسبب توجه الناس الى وسائل التواصل الاجتماعي وتفضيلهم وسائل الترفيه السريعة. لكن رب ضارة نافعة، خصوصاً مع تفشي كورونا، قبع الناس في بيوتهم، والحكواتي الذي كان موجوداً فقط امام الناس في الساحات العامة، صار مطلوباً منه ان يتوجه اليهم. لذا، استخدمنا شبكات التواصل الاجتماعي حتى نصل الى الناس. وكنتيجة، صار الناس يعرفوننا بشكل أكبر، ويسمعون حكاياتنا أكثر. واتوقع انه بعد انتهاء ازمة الوباء، فإن الناس الذين شاهدونا على مواقع التواصل سيكونون أكثر توقفاً لمشاهدتنا وسيتوجهون الى اماكن العروض التي نقدمها كي يروها بشكل مباشر. اتحدث عن حلقات تلفزيونية وعروض على وسائل التواصل الاجتماعي شاهدها الملايين من الناس. وهنا أيضاً، يكمن تحدّي امام الحكواتي. فحين يطل على وسائل التواصل الاجتماعي، يجب ان يعمل بشكل أكبر على صياغة حكايته. اي انه لا يستطيع ان يخرج على هذا المنبر ليحكي حكاية تبلغ مدتها 45 دقيقة مثلاً. اذا اراد ان يصل الى كل الناس، يجب ان لا تتعدى حكايته سبع دقائق. طبعاً، اتحدث هنا عن العروض العامة، لا الخاصة التي تخضع لرغبات المنظمين، ويمكن ان تكون طويلة جداً حسب الشريحة التي يتواصل معها الحكواتي في عرضه. لكن بشكل عام، ليس محبباً ان تكون الحكاية طويلة اذا كان العرض افتراضياً. فالحكواتي، خلال العرض الحي المباشر مع الناس، يستطيع ان يجذبهم الى قصته بواسطة حركاته وتعابير وجهه وإيماءاته، وهذه ميزة لا يتيحها له العالم الافتراضي.

س. م



امام جمهور من الاطفال.

## سهرات رمضان افتراضية

طوال شهر رمضان، تقيم جمعية "لبنان بلا حدود" بالتعاون مع "رابطة الحكواتيين" حلقات خاصة عن رمضان عبر منصة "زوم". تحمل هذه الحلقات الافتراضية عنوان "حكواتي رمضان" وتقدمها مجموعة من الحكواتيين المعروفين تتألف من خالد النعنع، رجاء بشارة، نتالي صباغ، غوى علام. رغم التحديات التي تفرضها كورونا، اصر المنظمون على التمسك بهذا الطقس الرمضاني الذي يناسب مختلف الشرائح العمرية. تعرض السلسلة كل يوم سبت عند الحادية عشرة مساءً عبر منصة "زوم".

□ هذا المشروع يتخطاني، وهو أكبر مني، فهو يحتاج الى جهد جبار. ليس سهلاً توثيق تقليد الحكواتي. طبعاً، هناك باحثون اجروا دراسات، وآخرون شكل الحكواتي مشروع تخرجهم، لكن انا لا أشعر بأن لدي ميلاً الى التوثيق. افضل الحكي ونشر الحكايا الموثقة.

■ هل هناك من انشطة معينة تقوم بها كحكواتي في رمضان؟

□ خلال شهر رمضان، يكثر الطلب على عروض الحكواتي لاسباب ما زلت اجعلها بحق. الناس يريدون دوماً الحكواتي برمضان، فنقيم عروضاً في السهرات بشكل أكبر. كما

السن الذين يخبروننا حكايات سمعوها من آبائهم واجدادهم. والمصدر الثالث هو الحكايات الادبية، مثل "الف ليلة وليلة" و"كليلة ودمنة"، او قصص لافونتين، بالعربية او بالفرنسية، لامشكلة. احب كثيراً تلاوة قصص عربية للجمهور الفرنسي، وقصص فرنسية للجمهور العربي. بهذه الطريقة، اقيم نوعاً من النقل الثقافي بطريقة جذابة وجميلة. احياناً، يخبرني احدهم شيئاً او اقرأ شيئاً على مواقع التواصل الاجتماعي، يعلق في ذهني وانسج حوله حكاية.

■ هل ضمن مشروعك توثيق كل ما يتعلق بتقليد الحكواتي؟



يروي الحكاية.

ماذا فهم منها. بعضهم سيقول بانه لا يجب التحدث مع الغريب، وآخرون سيقولون انه لا يجب ترك فتاة صغيرة تتجول بمفردها، وآخرون سيخلصون الى انه يجب دوماً اقفال باب البيت وغيرها عشرات الحكم بعدد المستمعين، لأن كل شخص يستخلص ما يناسبه ويلائم وضعه الحالي.

■ انت من الجيل الذي لم يلحق الحكواتي ربما، كيف ورثت هذه الحرفة؟

□ في الواقع، انا لم ارث هذا التقليد، ولم يكن هناك حكواتي محترف في عائلتي. لكن كان هناك شخص يحكي لنا الحكايات، وكنا نحن نخزنها في ذاكرتنا وظلت حتى كبرت. تطورت المسألة حين اقام استاذي ومعلمي الحكواتي جهاد درويش دورة حكواتيين في لبنان، فواظبت على حضورها، وتواصلت معه وشجعني، ثم شاركت في "مهرجان الحكاية الشعبية" في بيروت. أحببت التجربة واستمرت بها منذ 13 عاماً تقريبا.

■ كيف تجمع القصص؟ وما هي مصادرك؟ □ مصدري الاول هو الحكايات الشعبية المدونة والمسجلة في كتب. اما مصدري الثاني فهو كبار

الناس، وخصوصاً المسلمين. وكما ذكرت الامر يرجع الى الحكواتي نفسه. مثلاً، هناك حكواتيون يفضلون ان تكون قصصهم وحكاياهم في هذا الشهر روحانية دينية لها علاقة بجوهر الانسان والاخلاقيات بشكل عام. لذا، يحاولون التركيز على هذه المسائل في شهر الصوم، مع ان ذلك ليس الزامياً. هذا الامر يعتمد ايضا على المكان الذي يقدم فيه الحكواتي عرضه. لا قواعد ثابتة حين نتحدث عن الحكواتي، فالامر يختلف من حكواتي الى آخر كما ذكرت.

■ هل هناك طقوس خاصة ترافق الحكواتي في شهر رمضان؟

□ ليس هناك طقوس خاصة. الحكواتي يبقى كما هو بالشخصية التي يقدمها، بطريقة الكلام نفسها، وطريقة التواصل مع الجمهور. لكن ما يتغير في شهر رمضان هو ان الحكي يتركز في فترة ما بعد الافطار او السحور، اي ان توقيت العروض يصبح بدءاً من الساعة العاشرة والنصف ليلاً، وهو التوقيت الذي ينتهي فيه الناس عادة من الافطار والصلاة، ويصبحون أكثر اتاحة وراحة وقابلية للاستماع الى الحكواتي. اذا، ما يتغير في شهر رمضان هو توقيت العروض التي تصبح مسائية.

■ هل على الحكواتي ان يتحلى بكاريزما معينة او مهارات اخرى غير الحكي؟

□ من دون شك، يجب على الحكواتي أن يتمتع بالكاريزما، والا لن يستطيع جذب الجمهور وخلق علاقة مميزة معه. ولو انه ليس مطلوباً منه ان يتمتع بمهارات اخرى، لكان كل الناس حكواتيين. طبعاً كل الناس حكواتيون، لكن ليس في الاداء، اي ان كل شخص منا يتلو حكاية، لكن لا يتمتع بالقدرة على الوقوف امام جمهور وتلاوة هذه الحكاية. بالتالي، ما يميز الحكواتي المحترف عن الانسان العادي، هذه الكاريزما والقدرة على جذب الجمهور واستخدام نبرة صوتية مختلفة والتواصل البصري الذي يعد عنصراً مهماً جداً، والتمسك من الحكاية، وحب هذه الحكاية، لأنه بغير ذلك، لن تصل الحكاية الى الناس. يجب ان يكون هو مقتنعا بالحكاية قبل ان يخرج على الناس ليحكيها لهم لأن الناس يستشعرون ما اذا

ما يميّز الحكواتي عن الانسان العادي الكاريزما والقدرة على جذب الجمهور

كان الحكواتي يحب قصته أم لا.

■ هل هناك حكم معينة في الحكايا التي يتلوها الحكواتي؟

□ لا شك في انه في الماضي، كان للحكواتي دور مهم في نقل العبر والحكم للناس في قالب قصصي. لكن ليس دوره لتليم الناس الحكم هذه، بل ان ذلك يتركه للجمهور كي يستنبط بنفسه الحكمة التي يسمعا ويجري اسقاطا على نفسه فيها. كما ان ليس هناك قصة في العالم تخلو من حكمة او عبرة ما. مثلاً، قصة "ليلي والذئب" المشهورة والمعروفة جداً بين الناس، اذا رويتها للناس، وسألت كل شخص